جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة

اسم المادة : الاعجاز

عنوان المحاضرة

الاعجاز النفسي والروحي

أ.د عثمان فوزي علي

الإعجاز النفسي للقرآن الكريم

اختلفت أقوال الباحثين في تحديد مفهوم الإعجاز النفسي حيث إنه يتداخل مع الإعجاز الروحي، فهناك من لم يفرق بينهما بما ألزمه للإعجاز النفسي من جوانب نحو د. صلاح الخالدي الذي جعل للإعجاز النفسي جانبين؛ أولهما: الحديث عن النفس الإنسانية، وبيان صفاتها، وكشف خباياها، وخفاياها، وثانيهما: تأثير القرآن في النفس الإنسانية مؤمنةً كانت أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات وممن فرَّق بينهما د. فضل عباس الذي نص على الفرق بينهما عادّاً الإعجاز الروحي: تأثير القرآن العظيم في النفوس، أما الإعجاز النفسي فعرفه بقوله: "الإعجاز النفسي هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم، وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذا بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً ومع أنني أتفق مع د. فضل عباس، فالقرآن الكريم كما قال: تحدث عن مكنونات النفس وخفاياها بصورة معجزة، وذلك لأن الله تعالى هو خالق البشر وهو أعلم بحال نفوسهم وسجاياهم، فهو خير من يصفها، ويصورها، ويتكلم عنها، إلا أنني سأتكلم عن الإعجاز النفسي من جانب آخر أفرّق على أساسه بينه وبين الإعجاز الروحي ألا وهو: أن الإعجاز النفسي هو ما يحدثه القرآن الكريم من تغيرات فسيولوجية إيجابية في النفس الإنسانية من سكون، وطمأنينة وراحة نفسية، تبدد القلق والخوف، وتجلب السكون والأمن انطلاقاً من قوله عز وجل: (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب ، وقوله عز وجل(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، قال القرطبي– رحمه الله– : (اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرّيب، الثاني: شفاء الأمراض الظاهرة

وجمع القرطبي بين القولين عند تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا هُدَىً وَشِفَاء حيث قال:(أعلم أن القرآن هدىً وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تأثير القرآن الكريم يكون في من آمن أو لم يؤمن، فهم اللغة العربية أو لم يفهمها، وتوسع بعضهم في جانب البحث فيه، فجعل تأثيره يشمل النبات، والجماد أيضاً، أما الإعجاز الروحي فهو انبهار يحدثه سماع القرآن الكريم، ولا يكون إلا لمن خَبِر لغة

العرب، وسلك مسالكهم في مجاري الخطاب، وهو يشمل المؤمن وغير المؤمن بشرط أن يكون فاهماً للغة القرآن.

وقد يقع التداخل في إطلاق الإعجاز النفسي والروحي بسبب ما ورد في أقوال بعض أهل اللغة من أن النفس والروح واحد لا فرق بينهما، قال ابن منظور: "الروح: النفس، يُذَكَّر ويُؤنّث، والجمع الأرواح.( ) ويعزز هذا التداخل أن الخطابي الذي يُعدّ أول من نبّه إلى هذا النوع من الإعجاز لم يُطلق عليه اسم (النفسي) أو (الروحي)، إلا أن الناظر في تعريف من أطلق الإعجاز النفسي على حديث القرآن عن النفس الإنسانية يجد أن هذا التعريف يختلف تماماً عن الإعجاز الروحي الذي يتحدث عن تأثير القرآن في النفس الإنسانية

ومن هنا يمكن القول: إن الإعجاز النفسي يمكن أن يكون في حديث القرآن عن النفس الإنسانية، ويمكن أن يكون فيما يحدثه في النفس الإنسانية، ويعنيني هنا الإطلاق الثاني؛ لأن النفس في اللغة تُطلَق أيضاً على الجسد، فقد نصّ ابن منظور على أن النفس يعبر بها عن الإنسان جميعه أو عن الجسد، وأنا أرى أن النفس تطلق على تلك السلوكيات التي يعبر عنها الإنسان مثل الفرح والحزن فهنا الإطلاق كان النفس، أما الروح ،فقال أمرها إلى الله –عزوجل– عندما ترقى في الكمالات الإلهية واجدها في مرتبة الإحسان في قوله (صلى الله عليه وسلم) عن أبي هُرَيْرَةَ قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فقال ما الْإِيمَانُ قال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قال ما الْإِسْلَامُ قال الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قال ما الْإِحْسَانُ قال أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ قال مَتَى السَّاعَةُ قال ما المسؤول عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عن أَشْرَاطِهَا إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا وإذا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ في الْبُنْيَانِ في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا الله ثُمَّ تَلَا النبي صلى الله عليه وسلم) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ (الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فقال رُدُّوهُ فلم يَرَوْا شيئا فقال هذا جِبْرِيلُ جاء يُعَلِّمُ الناس دِينَهُمْ قال أبو عَبْد اللَّهِ جَعَلَ حيث إن الروح هي معرفة الله –عزوجل– حق المعرفة والتجافي عن دار الغرور ،والاستعداد ليوم الرحيل،حيث ختمت الآية وما يعلم ذلك الأمر إلا قليل ،والله أعلم بمراده.

أما تأثير الإعجاز النفسي للقرآن الكريم على سامعيه فيتمثل في:

تأثيره في نفس المؤمن:

للقرآن الكريم تأثيره في نفس المؤمن، فهو يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبدد الخوف والقلق، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة، ويحميه من الإصابة بالأمراض النفسية قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

تأثير القرآن الكريم في المسلمين وغيرهم:

للقرآن الكريم تأثير واضح في المسلمين وغيرهم ،وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

من خلال العديد من التجارب التي أجريت حول تأثير القرآن الكريم على سامعيه في أكبر عيادات مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا الأمريكية، وهي دراسات قدّمت ببحث إلى المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول بتركيا وكان هدف البحث هو إثبات أثر سماع القرآن الكريم باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من المتطوعين

وكانت خلاصة النتائج على النحو الآتي:

١. أظهرت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن أثراً إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكمَّاً، وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية، وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب، وكمية الدم الجاري في الجلد، ودرجة حرارة الجلد، وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم(سواءً أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، أو كانوا يتحدثون العربية أو غيرها) كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧%، وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر، ولو لم يفهم السامع معناه، إذ حقق إيجابية قدرها ٦٠%،وكل هذه التغيرات تدلُّ على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي يؤثر بدوره على أعضاء الجسم الأخرى ووظائفها، ولذلك فإنه توجد احتمالية أن يكون ذلك عن طريق إفراز الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي، وجهاز الغدد الصماء، وجهاز المناعة

ولذلك فإن من المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر، يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم لمقاومة المرض أو الشفاء منه،كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها، وبغضِّ النظر عن

مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

وأضافت الدراسة أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة لمقاومة الأمراض والشفاء، وقد شملت الدراسة (٢١٠) متطوعين أصحاء تتراوح أعمارهم بين (١٧_٤٠) سنة، وكانوا من غير المسلمين، وتم ذلك خلال (٤٢) جلسة علاجية، وكانت النتائج إيجابية نظراً للأثر المهدئ للقرآن الكريم على المتوتر بنسبة (٦٥%)، وهذ١الأثر المهدئ له تأثير علاجي، حيث إنه يرفع كفاءة الجهاز المناعي، ويزيد من تكوين الأجسام المضادة في الدم ومما يشهد للأثر النفسي من أنه شفاء يورث الطمأنينة ويوجب السكينة ويزيل الخوف والتوتر إضافة لما سبق ذكره من الآيات:

أ. حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي أخرجه مسلم في صحيحة:"ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة قال النووي: "قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة،وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار وهو أحسن

ب. الأحاديث الكثيرة الواردة في الاستشفاء بالقرآن الكريم، ومن ذلك عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: "كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم[لديغ]، وإن نفرنا غيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل

ما كنا نأبِنُهُ برقيةٍ، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً، حتى نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم جاءت الأحاديث الواردة في النفث مع القرآن للرقية. وقد عنون النووي فصلاً من كتابه التبيان ب (النفث مع القرآن للرقية) ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت :"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها.

د. أجاز بعض العلماء كتابة القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى المريض، أو علاج المريض بالماء المقروء عليه.

تأثير القرآن الكريم في الجماد والنبات والحيوان

إن لخطاب الجماد ، والنبات، والحيوان مدخلا يمكِّن الله منه من شاء من عباده في إفهامهم والفهم منهم ، إنها لغة يمتن الله تعالى بها على من يشاء من أصفيائه، كما أن بعض هذه المخلوقات خوطب بالوحي على صورة مخصوصة تتناسب مع خلقه كالنحل، قال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ وفي طريق سفره عليه الصلاة والسلام إلى الحديبية بركت ناقته فزجرها بعض الصحابة فلم تقم ،فقالوا : خلأت القصواء ،فقال عليه الصلاة والسلام :" ما خلأت القصواء ،وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل( ) فهذا يدل على أن عدم انقياد الناقة لزجر الزاجرين .